الإشارة السيمائية للحواس عند سيبويه

م. د احمد فالح وادي

الملخّص

يقوم هذا البحث على دراسة الإشارة السيمائية للحواس عند سيبويه، وتوضيح أثرها في الدرس النّحوي، وتضمَّن الحديث عن طريقة سيبويه في فهم عملية التواصل اللغوي، وكذلك بين البحث مفهوم إشارة الحواس وبين اثراها في عملية التواصل اللغوي، كما بين البحث أنَّ سيبويه كان مدركا لمفاهيم التواصل اللغوي المنطوق وغير المنطوق ومنه المفهوم السيميائي

المقدمة

الإشارة السيمائية للحواس تعدُّ من المفاهيم المثيرة للدراسة والبحث في مجال اللسانيات والفلسفة اللغوية، إذ تمثل جزءًا هامًا في فهم التفاعل البشري والتواصل اللغوي، وفي سياق هذا البحث، سنركز على دراسة نظرية الإشارة السيمائية للحواس لدى العالم واللغوي العربي البارز، سيبويه.

يهدف هذا البحث إلى استكشاف وفهم مفهوم الإشارة السيمائية للحواس في نظرية سيبويه، وتحليل تأثيرها في فهم اللغة واستخدامها كوسيلة للتواصل، وسنركز على مبحثين رئيسين: المبحث الأول سيتناول مفهوم الإشارة وكيفية تعريفها وفهمها في سياق النظرية السيمائية للحواس، وسنتناول الجوانب النظرية والفلسفية التي تقف وراء هذا المفهوم ونراجع الدراسات السابقة المتعلقة به لبناء أساس فهمنا له.

أما المبحث الثاني، فسيتمحور حول وظيفة الحواس المعرفية في نظرية سيبويه للإشارة السيمائية، وسنتناول دور الحواس الخمس في التفاعل اللغوي وكيفية استخدامها كوسيلة للإشارة ونقل المعنى، وسيكون هذا المبحث تحليلاً عميقاً للنصوص والأعمال التي قدمها سيبويه، حيث سنسلط الضوء على طريقة تفسيره لدور الحواس في إيصال المعنى وتفاعلها في بيئتنا اللغوية والثقافية.

يهدف هذا البحث إلى تقديم إسهام قيم في فهم نظرية سيبويه حول الإشارة السيمائية للحواس وتحليل دور الحواس المعرفية في التفاعل اللغوي. نأمل أن يسهم هذا البحث في إثراء المعرفة اللغوية والفلسفية ويفتح

ISSN: 2075 - 2954 (Print)

آفاقًا جديدة للنقاش والبحث في هذا المجال الشيق والمهم.

المبحث الأول مفهوم الإشارة

اولاً:

أ- الإشارة لغةً

وفقًا للمعجمات اللغوية، يتم اشتقاق مفهوم (الإشارة) من الأصل الثلاثي (شور)[١]. والسياقات التي يُذكر فيها هذا المفهوم تنبع من هذا الأصل، ورد في معجم العين: «المشارُ المجتنى للعسل... والمَشْوَرةُ، مَفْعَلةٌ، اشتُقَّ من الإشارة؛ أشرتُ عليهم بكذا ويُقالُ: مَشُورةٌ. والمُشِيرةُ: الإصبعُ التي يُقالُ لها السَّبّابةُ. والشَّارةُ الهيئةُ واللِّباسُ الحَسَنُ، وخيلٌ شيارٌ، أي: سِمانٌ حسان»[٢].

وقد تستعمل الإشارة عبر حركة اليد والإصبع، وتعدُّ هذه الحركات أفعالاً يقوم بها الإنسان للتواصل والتعبير، وقد تكون هذه الإشارات ذاتية الدلالة وغير مقصودة كما في الهيئة واللباس الحسن، حيث يؤديان وظيفة الإشارة إلى صاحبهما دون توجيه مباشر من الشخص نفسه، والى هذا أشار الأزهري(ت٣٧٠هـ): «أشارَ الرجلُ يُشيرُ إشارةً، إذا أومأ بيديِه، وأشارَ يُشيرُ إذا ما وجّهَ الرأي»[٣].

ب_ الألفاظ المرادفة للإشارة في الاستعمال الوظيفي

١ - التلويح هو شكلٌ من أشكال الإشارة في الفكر اللغوي، ويعبر عن استخدام الحركات أو الإيماءات للتعبير عن شيء أو لإيصال رسالة دون الحاجة للكلام. يمكن أن يكون التلويح بواسطة اليدين أو أي أعضاء أخرى من الجسم، ومن الأمثلة على التلويح هو: ألاح بسيفه، وهو عملية إشارة بالسيف للإشارة إلى شيء ما أو للتعبير عن رغبة أو نية معينة[٤].

(١) ينظر: معجم العين، الخليل بن أحمد: ٦ / ٢٨٠ (شور)، وتهذيب اللغة، الأزهري: ١١ / ٤٠٣ (شور)، ومعجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس: ٣ / ٢٢٦ (شور).
(٢) معجم العين: ٦ / ٢٨٠ - ٢٨١ (شور).
(٣) تهذيب اللغة: ١١ / ٤٠٤ - ٤٠٥ (شور).
(٤) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني: ٧٥٠ (لوح).

تُظهر هذه الأمثلة أهمية التلويح في عملية التواصل والتعبير عن الأفكار والمشاعر، وكيف أن اللغة الجسدية قد تكون مفيدة في إغناء الاتصال البشري.

٢ – الإيماء هو شكل آخر من أشكال الإشارة، ويُستخدم للتعبير عن شيء أو لنقل رسالة من دون استخدام الكلام. وفي تعريف الخليل بن أحمد الفراهيدي (توفي عام ١٧٥ هـ)، يُعرّف الإيماء بأنه «الإشارة بيدك، أو برأسك مثل إيماء المريض برأسه للركوع والسجود»[١].

ويعد الإيماء من وسائل التواصل غير اللفظي التي تساعد على نقل المعاني والمشاعر بشكل فعال. يُستخدم الإيماء في مختلف السياقات والثقافات للتواصل والتعبير، بما في ذلك الحوارات اليومية، الأوضاع الاجتماعية، الحياة العملية.

يُظهر تعريف الإيماء من الخليل أهمية هذه الطريقة الغير لفظية في عملية التواصل، وكيف يمكن للإيماء أن يعزز فهم الرسائل والمعاني المراد توصيلها بين الأفراد في المجتمع.

٣ – الوحي، في فكر القدماء، يُعدُّ إشارةً تُستخدم لنقل المعاني والرسائل بسرعة. وفي تعريف الراغب الأصفهاني (ت ٤٢٥ هـ) يُعرّف الوحي بأنه «الإشارة السريعة»، ويمكن أن تكون هذه الإشارة عبارة عن أمر وحي أو تعليمة. ولتضمن هذه الإشارة السرعة قد يكون الوحي عبارة عن كلام بسيط بطريقة رمزية أو تلميحية، أو يمكن أن يكون بصوتٍ لا يحمل تركيبًا لغويًا محددًا، وقد يتم التواصل والوحي أيضًا عبر إشارة بعض الجوارح أو بالكتابة، وقد حُمِلَ على ذلك قولُه تعالى عن زكريا ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾[٢] ،فقد قيلَ: رمزَ. وقيلَ: أشارَ»[٣].

وهذا يشير إلى أنَّ اختلاف الاستعمال للّفظ(وحي) وتعدده في المدلول أدّى إلى اختلاف الرؤية في تفسير معنى الوحي في

(١) كتاب العين: ٨ / ٤٣٢ (ومأ) ، وينظر: تهذيب اللغة: ١٥ / ٦٤٤(ومأ)

(٢) مريم: ١١

(٣) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن: ٨٥٨ (وحي).

ISSN: 2075 - 2954 (Print)

هذه الآية وتعددها .

٤ – الرمز: يعد القدماء الرمز إشارة، وقد نقل الأزهري لنا مجموعة من الأقوال التي توضح معنى الرمز في تصوّر اللغويين القدماء.

هناك من خصص الرمز بتحريك الشفتين دون إبانة بصوت، مثل أبي إسحاق الزجاج (ت٣١٦هـ)، وهناك من عمّم الرمز ليشمل إشارة الشفتين والحاجبين والفم وغيرها. وبالتالي، يتبع هؤلاء المعيار الحركي في تعريف الرمز[١].

٥– (غمز، ولمز، ولمع):

تُستخدم (غمز) للإشارة الدالة الحركة بالجفن والحاجب، والغمز هو الإشارة باليد، والغمّازة هي الجارية الحسنة التي تلجأ إلى الغمز للتواصل مع الآخرين. والمغامز هم المعايب أو المُشكّكون[٢].

أما اللمز، فإنه يشير إلى العيب في الوجه، وينبع أصله من الإشارة بالعين والرأس والشّفّة أثناء إطلاق كلمات خفية. ويُقال أيضاً أنه يمكن أن يعني الاغتياب[٣].

أما لمع، فيُستخدم أيضاً للدلالة على الإشارة فيقال: «لمع الرجل بثوبه وألمع به» عندما يشير بثوبه ليحذر أو ينذر[٤].

تجمع هذه الأقوال حول الإشارة عنصرًا مشتركًا واحدًا وهو (التحريك)، ويلحظ المتتبّع للسياقات التي ترد في المعجمات اللغوية أن كل حركة تُعتبر إشارة، ويتمثل التوافق بين جميع تلك المعاني في العنصر الجامع وهو (التحريك)، إذ تعدُّ كل حركة في الفكر اللغوي إشارة، ولكنهم أطلقوا على كل حركة اسمًا يدل عليها، مما يُشير إلى أنهم كانوا يدركون تمامًا أهمية الدقة والعناية في التعامل مع هذه الدلالات، لأنها تكشف الفروق الدقيقة بين ألفاظ اللغة.

(١) ينظر: معجم مقاييس اللغة: ٢/ ٤٣٩ (رمز)، ومجمل اللغة، ابن فارس: ٢٦٥ (رمز)، ومفردات ألفاظ القرآن: ٣٦٦ (رمز).
(٢) ينظر: كتاب العين: ٤ / ٣٨٦ (غمز).
(٣) ينظر: لسان العرب، ابن منظور: ٩ / ٤٧٢ (لمز).
(٤) ينظر: جمهرة اللغة، ابن دريد: ٢ / ٣٢٦ (لمع).

ISSN: 2075 - 2954 (Print)

هذا يعني أن مفهوم الإشارة توزع على عدة مصطلحات تم توضيحها من الاستعمال اللغوي، وقد أنتج هذا التباين في أنواع الإشارة تسجيلاتها في مدونات العلماء ومعجماتهم. تم توثيق الألفاظ التي تحمل معنى الإشارة، مع بيان الفروق الدلالية الدقيقة بين الألفاظ التي تعبر عن هذا المعنى، وذلك بناءً على مبدأ الاستعمال اللغوي وطريقة العرب في التعبير عن ظواهر لغوية معينة. يُلاحظ أنه رغم وحدة المفهوم، إلا أنه تم استخدام تلك الألفاظ بسعة كبيرة في اللغة العربية.

٦- ومن بين ما يشترك مع الإشارة في إيصال المعاني هو «العلامة»، وهو لفظ مأخوذ من الأصل (عَلَمَ)، قال الخليل: «والأعلَمُ الذي انشقّتْ شَفَتُه العُليا. وقومٌ عُلْمٌ وقد عَلِمَ علماً... والعَلَمُ: الجبلُ الطويلُ والجميعُ: الأعلامُ... والعَلَمُ: الرايةُ إليها مجمعُ الجُنْدِ. والعَلَمُ: عَلَمُ الثوبِ ورقمُه. والعَلَمُ: ما يُنصَبُ في الطريقِ ليكون علامةً...»[١]

٧- السمة، المعروفة أيضاً بلفظ «السيما» أو «الوسم»، تعدُّ علامةً أو رمزاً يتم استخدامه للتعرف على شخص معين أو للدلالة على سمة أو خاصية محددة تميزه. في بعض النصوص، يوضح الخليل أن «سوّم فلانٌ فرسَه تسويماً» يعني أن شخصاً وضع علامة معينة على فرسه، وهذه العلامة تُعرف به وتميّزه عن غيره من الخيول[٢].

لفظ «وسم» يشترك مع دلالة العلامة، حيث يحمل ذات المعنى ويشير إلى الإشارة والدلالة على أثر أو معلم. قد حرر ابن فارس (ت**٣٩٥** هـ) هذا المعنى بقوله: «وسم، الواو والسين والميم: أصل واحد يدل على أثر ومعلم. ووسمتُ الشيء وسماً: أثّرتُ فيه بسمةٍ»[٣] . وهذا يُظهر أن «وسم» يُستخدم للدلالة على العلامات والإشارات التي تترك أثرًا أو تحمل معنى محدد.

تُظهر أهمية مفهوم «وسم» ودوره في الإشارة والتمييز، وكيف يمكن أن تحمل العلامات والوسوم دلالات هامة في

(١) ينظر: كتاب العين :**٢** / **١٥٢** (لمع) .

(٢) ينظر: كتاب العين: **٧** / **٣٢١.٣٢٠** (سوم)

(٣) معجم مقاييس اللغة: **٦** / **١١٠** (وسم) .

ISSN: 2075 - 2954 (Print)

التواصل والتعبير.

من السابق يتضح أن الوسم والسمة والأمارة والعلامة يمثلون شيئًا واحدًا، حيث يتشاركون في معنى العلامة. بمعنى آخر، عندما يُستخدم أي من هذه الألفاظ، يتم فهمها على أنها تعني العلامة، ويجدر بالذكر أنَّ هذا الاستخدام لا يقتصر على نطاق معين، بل يمكن رؤية هذه الألفاظ في سياقات متنوعة ومختلفة.

ثانياً: الإشارة في الاصطلاح :

أ – الإشارة في اصطلاح القدماء:

أورد الغزالي (ت ٥٠٥ هـ) نصًا يوضح فيه فكرة التصور حول إدراك المعاني التي لا يتوصل إليها من الألفاظ بل مما يتبع اللفظ من معنى. وأشار الغزالي إلى هذا التصور أثناء مناقشته للمعاني التي يتم استخلاصها من الألفاظ وليس من صيغتها بل من حيث محتواها وإشارتها، بقوله: «ما يؤخذ من إشارةِ اللفظِ لا من اللفظِ، ونعني به ما يتبع اللفظَ من غيرِ تجريدٍ قُصِدَ إليه، فكما أنَّ المتكلّمَ قد يُفهم بإشارتِه وحركتِه في أثناءِ كلامِه ما لا يدلُّ عليه نفسُ اللفظِ فيسمّى إشارةً، فكذلك قد يَتبعُ اللفظَ ما لم يُقصدْ به ويُبنى عليه»[١].

ويعبر هذا النص أنَّه يمكن فهم واستيعاب معاني إضافية أو مختلفة عند التواصل اللفظي، وذلك بناءً على الإشارات اللغوية والحركات والتعابير الوجهية التي يقوم بها المتكلم خلال كلامه، ويُشير الغزالي إلى أنَّ هذه الإشارات قد تُعزز أو تُغني عن اللفظ نفسه في بعض الأحيان.

وعرّفها الشريف الجرجاني(ت٨١٦هـ) إشارة النص هو استخدام العمل بما ثبت بنظم الكلام لغةً، ولكنه ليس مقصوداً، ولا يحمل سياقًا معينًا، بمعنى آخر، هو الإشارة إلى النص أو الكلام عن طريق استخدام الكلمات والعبارات التي قد تكون مألوفة أو ثابتة في اللغة، دون أن تحمل معانٍ محددة أو مقصودة[٢].

وقد شبّه أبو البقاء الكفوي (ت ١٠٩٤ هـ) هذا التصور حول إشارة النص بما يُدركه

(١) المستصفى من علم الأصول، الغزالي: ٢/ ٨٣.

(٢) ينظر: التعريفات: ٢٢.

ISSN: 2075 - 2954 (Print)

الإنسان من الحواس الحسية، حيث يدرك الإنسان الكثير من المعلومات والانطباعات من حوله دون أن يكون قاصداً إدراك جميعها. وقد وصف هذا التشبيه بقوله: «إشارة النص ما عرف بنفس الكلام بنوع تأمل وضرب تفكر، غير أنَّه لا يكون مراداً بالإنزال، ونظيره في الحسيات أن من نظر إلى شيء يقابله فرآه، ورأى غيره مع أطراف عينه مما يقابله، فهو مقصود بالنظر، وما وقع عليه أطراف بصره فمرئيٌ ولكن بطريق الإشارة تبعاً لا مقصوداً»(١).

ويبدو أنَّ علماء الأصول كانوا يسعون لاستخلاص المعاني المتعلقة بأحكام دينية من القرآن والسنة، وذلك عندما لا يتم ذكرها بوضوح وصراحة في النصوص، فكانوا يستندون إلى ما يُشار إليه داخل النصوص القرآنية والحديثية، وما يمكن استنتاجه من الآيات والأحاديث بشكل غير مباشر، يُطلق على هذه العملية اصطلاحًا «الاستنباط الأصولي»، وهي إحدى منهجيات علم أصول الفقه.

ومفهوم الإشارة في اصطلاح القدماء يتفق مع مفهومه في اللغة بشكل عام، فالإشارة تكون موجهة ودالة، وهي ترتبط بموضوع خارجي (مثل الشيء المُشير إليه باليد) أو بمدلول ذهني (مثل المعنى الذي يشير إليه اللفظ). ويُمكن أن يجمع هذا المفهوم بين مختلف الأنماط المعرفية للإشارة.

وفي الحديث عن الإشارة اللفظية، فإن اللفظ قد يشير إلى أكثر من معنى، ويعتمد التوضيح على السياق والتحليل اللغوي، قد تستعمل الكلمات والعبارات لإشارة إلى معان متعددة تعتمد على الموقف أو الظروف التي يُستخدم فيها اللفظ.

وبنفس الشكل، يمكن أن يكون المشير بيده أو بإيماءاته يشير إلى أشياء مختلفة باستخدام إشارة واحدة، وهو يعتمد على اتفاق أو فهم مشترك بين المتواجدين، على سبيل المثال، يُمكن أن يرتبط إشارة يد الإنسان بتعدد المعاني، مثل أن يُستخدم إشارة يدك للدلالة على شيء ما، وفي سياق آخر قد يُستخدم نفس الإشارة للدلالة على

(١) ينظر: الكليات أبو البقاء الكفوي: ٨٦

ISSN: 2075 - 2954 (Print)

شيء آخر، ويظهر هذا أهمية الإشارة في التواصل والتفاعل اللغوي، وكيف أنها تعدَّ أداة قوية لتحديد الدلالات وتوجيه المعاني في مختلف السياقات والثقافات.

ب- الإشارة في اصطلاح المحدثين:

تتفاوت مفاهيم الإشارة بين المحدثين والباحثين وفقًا للمناهج التي يتبعونها في دراستها. في النظر الفلسفي، وبناءً على كتابات بيرس، يتم تعريف الإشارة بأنها «كل ما يحدد شيئًا آخر (مؤوله) بإرجاعه إلى شيء آخر (موضوعه) بنفس الطريقة»[1].

مع هذا التصوير، الإشارة ترتبط بالارتباط المتبادل بين عنصرين؛ الأول يُشير إلى الثاني، والثاني بدوره يرجع الإشارة إلى شيء آخر مماثل، وهذا يُظهر أنَّ الإشارة تتطلب وجود ترابط معنوي ومعرفي بين العناصر المشار إليها، ويُعدَّ هذا المفهوم الفلسفي للإشارة من النواحي النظرية والفلسفية، إذ يُسهم في فهم ترابط المعاني والدلالات في اللغة والتواصل، ويُعد بيرس أحد الفلاسفة والمفكرين الذين أسهموا في تطوير نظرية الإشارة وفهمها الفلسفي بشكل أكبر.

ويُبرز هذا التصوير الأهمية التي تكتسبها الإشارة في اللغة والتواصل في تمثيلها للعلاقات المعنوية والمعرفية بين الكلمات والمفاهيم، مما يساهم في تحقيق فهم أعمق للبنية اللغوية والمعاني المختلفة.

يعرّف (جيرار دولودال) مصطلح العلامة بأنها «علاقة ثلاثية بين ثلاث علامات فرعية تنتمي على التوالي إلى الأبعاد الثلاثية للممثل والموضوع والمؤول، والمؤول الثالث هو العنصر الفعال في العلاقة «[2].

ويُقصد بالعلامة عنصر محدد في التواصل اللغوي يُمكن أن يتكون من ثلاثة عناصر فرعية، تُمثل هذه العناصر الفرعية الأبعاد الثلاثية للعلامة وهي: الممثل (الشخص أو الكيان الذي يقوم بالإشارة)، والموضوع (الكائن أو المفهوم الذي يُشار إليه)، والمؤول (العنصر الثالث الذي يعبِّر عن المعنى الفعال

(١) السيميائيات أو نظرية العلامات: ٣٤ - ٣٥.

(٢) السيميائيات أو نظرية العلامات: ٣٤ - ٣٥.

ISSN: 2075 - 2954 (Print)

والمقصود في العلاقة بين الممثل والموضوع).

وبناءً على هذا التفسير، المؤول هو العنصر الحاسم الذي يُعطي المعنى الفعال للإشارة، فهو يحيل الممثل على الموضوع الذي يُشير إليه، ويتمثل الأهمية الأساسية لهذا المفهوم في تحديد وجهة الإشارة وفهم مغزاها بوضوح في السياق اللغوي.

بهذه الطريقة، يُبيِّن (جيرار دولودال) تفاصيل العلاقة الثلاثية المرتبطة بالعلامة وكيفية استخدامها في الإشارة وتوجيه المعنى بين الممثل والموضوع والمؤول.

في المناهج النفسية التي تعتمد ثنائية المثير والاستجابة، أو الفعل ورد الفعل، يُعرف الإشارة بأنها «عبارة عن مهيج يسميه علماء النفس منشطاً يظهر أثره على الجهاز العضوي، حيث يثير صورة ذهنية لمنشط آخر؛ فالغيم يستدعي صورة المطر، والكلمة تستدعي صورة الشيء»[١].

فالإشارة عندهم تُعَدُّ مهيجًا أو منشطًا يتأثر به الجهاز العضوي، وتحفز الإشارة عملية ذهنية تجلب صورة أو انطباعًا لمنشط آخر، على سبيل المثال، عندما نرى غيمًا قد يثير ذلك صورة للمطر في ذهننا، وكذلك عندما نسمع كلمة مثل «الشجرة» قد تستدعي صورة للشيء الذي نُشير إليه.

هذا التفسير يُظهر كيفية استجابة العقل والجهاز العضوي للإشارة، وكيف يتم استدعاء الصور الذهنية بناءً على المحفزات، أو العلامات التي نتعامل معها، ويعدَّ هذا المنهج منطلقًا هامًا في دراسة استجابة الإنسان وتأثير العوامل النفسية والعقلية على تفاعلاته وتجاربه الذهنية.

يُظهر هذا أنَّ دراسة الإشارة تُعدُّ مهمة صعبة للباحثين في هذا المجال؛ لذلك يُقدم من يُعرّف الإشارة نظرتها من جهة العناصر المكونة لها، أو من جهة العلاقة المرتبطة بين تلك العناصر، أو حتى من جهة الوظيفة التي تؤديها، فالإشارة هي شيء يُشير بشيء آخر أو يُعرّف به ويحل محله، وهذا يعني أن هناك سبب يمنع بعض الأحيان الوصول إلى الشيء المشار إليه أو يجعل الوصول إليه أمراً صعباً.

(١) علم الدلالة ، بيير جيرو: ٣٠ .

ISSN: 2075 - 2954 (Print)

وفي غالب الأمر، تُدرك الإشارة بشكل حسي حاضر، وقد تكون عبارة عن شيء مادي بسيط يحل محل الأشياء المشار إليها، وتكون هذه الأشياء بعيدة أو غير مادية أو حتى تكون عمليات ذهنية أو مجموعات معقدة، ومع ذلك، فإن هذا المعنى للإشارة لا يكون دائماً واضحاً، لأن الإشارة لا تحل دائماً محل الشيء المشار إليه، كمثال الدخان لا يحل محل النار، فهو قد يُشير إلى وجود نار ولكنه ليس نارًا بذاته[١] .

ومن هذا المفهوم تظهر أهمية دراسة الإشارة وتحليلها بدقة وإدراك التحديات التي قد تواجه فهمها بشكل صحيح، فالإشارة تمثل عنصرًا أساسيًا في التواصل وفهم المعاني، وتتطلب فهماً دقيقاً لمحتواها وسياقها لضمان فهمها بشكل صحيح وموثوق.

ويُمكننا تصوير الفكرة بالشكل التالي: النظر إلى الإشارة من خارجها ومراعاة السياق الخارجي المُحيط بها. ومع ذلك، في جوهرها، تُعدَّ الإشارة أداة اتصال رئيسة؛ فهي المادة الأساسية التي يستخدمها جميع الكائنات للتواصل مع بعضها البعض، وذلك باستنادها إلى نسق إبلاغي يطلق عليه (بيرس) السيميوز وعملية التوليد السيمائي[٢].

وعند أولمان، تعدُّ الإشارة جزءًا من الخبرة الكلية، إذ يمكنها أنْ تُستدعي الخبرة الباقية وتُكملها، فالإشارة تمثل وسيلة اتصال أساسية تُستخدم من قِبَل الكائنات للتواصل مع بعضها البعض، وهي تعتمد على نسق إبلاغي محدد وعملية التوليد السيمائي، كما أنَّ النظر في سياقها الخارجي يساعد في فهمها بشكل أدق، وفي نفس الوقت، الإشارة جزء من الخبرة الكلية وقادرة على استدعاء وتكميل الخبرة الأكبر التي تنتمي إليها[٣] .

بناءً على المعلومات الواردة من آراء مختلفة، يُمكن تعريف الإشارة بأنها «عنصر استدعائي وإحالي يشير إلى الأشياء الحاضرة ويحل محل الأشياء الغائبة منها ليُبلغ عنها

(١) ينظر: العلامة: ٧٢ – ٧٣.

(٢) ينظر: المصدر نفسه: ٧٥.

(٣) ينظر: المصدر نفسه: ٧٩ .

ISSN: 2075 - 2954 (Print)

بواسطة دال مرتبط بمدلوله بعلاقة وصفية، سواء كانت طبيعية أو عقلية أو عرفية. ومن ثم يتم تحديدها وتثبيتها على صورة معينة يُستخدم للدلالة على مدلول محدد أو يُحال عليه، ويتم استحضار هذه الإشارة عند استخدامها في التواصل اللغوي.»

وبهذا التعريف تكون الإشارة أداة استدعائية تُحيل إلى الأشياء المحددة التي قد تكون حاضرة أو غائبة، وتمثل بديلاً عن الأشياء الغائبة للإبلاغ عنها بواسطة دال مرتبط بها بعلاقة وصفية، ويمكن تحديد هذه الإشارة وتثبيتها على صورة معينة تُستخدم للإشارة إلى مدلول محدد أو يُحال عليه. وعند استخدام الإشارة في التواصل اللغوي، يتم استحضار معانيها والتفاعل معها.

ثالثاً: الإشارات الحسية لدى الانسان:

القناة الطبيعية وجهاز الالتقاط الإنساني (الحواس الخمسة) تلعب دورًا هامًا في نقل الإشارات[١]، وتشمل هذه القناة الإشارات المنقولة عن طريق الحواس اللمسية والذوقية والشمية والسمعية والبصرية.

نجد أنَّ الإشارات المنقولة عن طريق الحواس الخمسة لدى الإنسان، وهي اللمسية والذوقية والشمية والسمعية والبصرية. فالحاسة اللمسية تمكّننا من التفاعل مع ما يحيط بنا وتفسير معانيه، حيث يكون كل جسم ملموس له معنى خاص، فإذا تحدثت عن شخص يجلس بالقرب منك وأنت لا تراه، فصديقك الذي يستمع لك ويراه دونك قد يستخدم الإشارة المبهمة (الغمزة) للتواصل معك وإيصال رسالة معينة. بتفهمك لهذه الغمزة، تدرك أنه يقصد التحذير من الاستمرار في الحديث، لأن هناك شخص آخر يمكن أن يسمع ما تقول[٢].

وهناك أنظمة اتصال تعتمد على علامات أبجدية برايل وإيماءات الأصابع، والتي يستخدمها العميان والصم البكم للتواصل وتبادل المعلومات[٣].

---

(١) ينظر: العلامة: ٧٩ .

(٢) ينظر: اللغة بين المعيارية والوصفية : ١٠٨ .

(٣) ينظر: العلامة: ٨٠ – ٨١ .

ومن ذلك ما قاله الخليل حول الغمزة، حيث أشار إلى أنها يمكن أن تكون وسيلة للتواصل والتواصل باليد عن طريق العصر[١].

وباستخدام هذه الحواس الخمسة، يتم نقل الإشارات المختلفة إلى جهاز الالتقاط الإنساني، ويتم تحويلها إلى معاني خاصة والتفاعل معها بشكل طبيعي ومناسب.

المبحث الثاني: وضيفة الحواس المعرفية عند سيبويه

توطئة :

لم ينقطع الدرس السيميائي الحديث عن الفكر اللغوي القديم، بل يعدُّ امتدادًا له وإضاءة للعديد من جوانبه، وعندما نتفحّص الموروث اللغوي القديم لدى العرب، نجد أنهم كانوا يتبعون طريقة ومنهجًا للكشف عن الأنظمة الإشارية ودراستها وفهمها.

وتنطوي الدراسات السيميائية على تحليل وفهم أنظمة الاتصال، وهذا النهج يمكن رؤيته وفهمه من خلال الموروث اللغوي القديم لدى العرب. وعلى سبيل المثال، يمكننا استشفاف طريقة ومنهج العرب في الكشف عن الأنظمة الإشارية ودراسة الإشارة وفهمها من أعمالهم اللغوية القديمة[٢].

في تفاعله مع النظام اللغوي، أدرك سيبويه (ت١٨٠هـ) الوظيفة الإشارية للحواس، حيث أصبحت تساهم في تفسير اللغة وبناء بنيتها وإشارة إلى المعاني الكامنة فيها، فقد وصف سيبويه هذه الوظيفة بأنها نظام معرفي غير لغوي يُساعد على وصف اللغة وتحليل بنائها.

ومن أمثلة ما ذكره سيبويه في تطبيق هذه الوظيفة الإشارية للحواس هو عندما ترى صورة شخص فتحدد هويته من الإشارة إليه، مثل قولك: «عبد الله وربي»

(١) ينظر: كتاب العين: ٤ / ٣٨٦ (غمز).

(٢) ينظر: علم اللغة، د.علي عبد الواحد وافي: ٨١ – ٨٧، ونشأة اللغة عند الإنسان والطفل ،د. علي عبد الواحد وافي: ٧ – ١٥ .

عندما ترى صورة شخص وتعرف أنه يُدعى عبد الله، أو عندما تسمع صوتاً فتتعرف على صاحب الصوت وتقول: «زيد وربي». وكذلك عندما تمس أو تشم شيئاً فتعرفه وتسميه، مثل قولك: «زيد» عندما تمسه أو تشم رائحته، أو «العسل» عندما تجربه[١].

بهذه الطريقة، كان سيبويه يستخدم الإشارة والتفاعل مع الحواس كنظام معرفي يُساعد في وصف وفهم اللغة وتحليل بنائها.

في وصفه للحواس، يقدم سيبويه هذه الحواس بصورة ضمنية بوصفها نظامًا معرفيًا يمكن للإنسان من خلاله التعرف على الآخرين عن طريق حواسه، وقد نظر إليها على أنها جزء من النظام السيميائي، ووصف عملية التعرف عن طريق هذه الحواس بأنها علامة تشير إلى مدلولها.

اولاً: حاسة البصر:

بذكره للفعل «رأى» في باب (يكون المبتدأ فيه مُضمَراً) إذ يقول: ويكون المبنى عليه مظهَراً وذلك أنَّك رأيت صورة شخص فصار آية لك على معرفة الشخص فقلت: عبد الله وربي، كأنك قلت: ذاك عبد الله، أو هذا عبد الله[٢].

يعكف سيبويه على تحليل عملية الإدراك والتعرف عن طريق حاسة البصر. فعندما يشير إلى الشخص المذكور في الكلام، يربط هذه الإشارة بحاسة البصر في رؤية المتحدث لصورة الشخص المشار إليه، وعند هذه الرؤية، يتحول الإشارة إلى شيء معرف يحمل وظيفة إخبارية تدل على مدلولها المذكور، والذي يتم التعبير عنه بالاسم «عبد الله».

بإدراكه النظام السيميائي، يكشف سيبويه عن رؤية متقدمة تمتد خيوطها إلى كل ما يتعلق بنظام الاتصال اللغوي وغير اللغوي. فهو يدرك أن الإشارة اللغوية وحاسة البصر تترابطان في عملية التواصل والتعبير، حيث يمكن للإنسان أن يعبر عن المعاني من خلال استخدام الحواس وتحويل الإشارات إلى مدلولات مفهومة.

وبهذه النظرة المتقدمة، يصبح الفهم

(١) ينظر: كتاب سيبويه: ٢ / ١٣٠ .

(٢) الكتاب لسيبويه (٢/ ١٣٠)

ISSN: 2075 - 2954 (Print)

للإشارة أكثر ارتباطًا بالتجربة الإنسانية والمعرفة الشخصية، ويتم توظيفها للتعبير عن المعاني والأفكار بشكل دقيق ومتكامل في النظام اللغوي وغير اللغوي.

ثانياً: حاسة السمع

سيبويه في إدراكه لهذا النظام السيميائي اعتمد على عنصر الصوت الذي يتميز به كل إنسان عن غيره، وذلك بوجود نغمة خاصة بصوته، فعندما يسمع صوتًا، يستطيع التعرف على صاحب الصوت من نغمته وطبيعته، وتتحول هذه النغمة إلى علامة تشير إلى مدلولها.

يقول سيبويه: «أو سمعتَ صوتا فعرفتَ صاحبَ الصوت فصار آية لك على معرفته فقلت: زيد وربى» [1]، ويقصد سيبويه في هذا السياق الجانب الخاص أو العنصر الفريد للألفاظ الذي يميز به الأشخاص عن بعضهم البعض، فطبيعة الصوت تختلف من شخص إلى آخر، وبفضل هذه الفروق الصوتية يتمكن الإنسان من التعرف على صاحب الصوت وفهم مدلوله.

ومن الجوانب المهمة لهذا النظام السيميائي هي وظيفة الحاسة الأساسية وهي سمع اللغة المنطوقة، فالصوت يُعدَّ علامة بديهية ومعروفة تمكن المعرفة من حلولها محل اللغة المنطوقة في عملية التعرف والتفاهم بين الناس، وبهذه الطريقة يكون الصوت هو الوسيلة التي تمكن الناس من التواصل والتفاهم والتعبير عن المعاني بطريقة دقيقة وفعالة.

ونظير هذا الكلام قول الخليل في مادة(لحن) إذ يقول: «اللحنُ ما تلحنُ إليه بلسانِك، أي، تميلُ إليه بقولِك، ومنه قولُه تعالى ﴿ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ ﴾ [2]، فكان رسولُ الله (ﷺ) بعد نزول هذه الآية يعرف المنافقينَ إذا سمعَ كلامَهم، يَستدلُّ بذلك على ما يُرى من لحنِه، إي من مثلِه في كلامِه من اللحنِ»[3] .

فطبيعة الصوت المسموعة هي إشارة يتعرف السامع في ضوئها مدلول الأشياء

(١) الكتاب لسيبويه (٢/ ١٣٠)

(٢) سورة محمد: الآية: ٣٠

(٣) كتاب العين: ٣ / ٢٢٩ – ٢٣٠ (لحن) .

وخصائصها.

ثالثاً: حاسة اللمس:

عبّر سيبويه عن وظيفة اللمس بقوله «أو مسست جسداً»[١]، وهي تكون بلمس الشيء لتحسسه وإدراك طبيعته أو مدلوله، وهذا النوع من الإشارة يكمن في استخدام الحواس لتفسير وفهم المعاني، وقد عده سيبويه أحد العناصر السيمائية للتواصل والتعبير.

فعندما يلامس الإنسان جسدًا، يستطيع تحسسه وإدراك طبيعته وخصائصه، وهذا اللمس يكون علامة تشير إلى مدلوله. فاللمس يساعد على التعرف على الأشياء وفهم معانيها ومعرفة خصائصها، وبذلك يكون هذا النوع من الإشارة جزءًا من النظام السيميائي الذي يساهم في التواصل والتفاهم بين الناس وفهم المعاني بدقة.

رابعاً: حاسة الشمِّ

تُعدُّ حاسة الشم علامة مشيرة وأداة معرفية غير لغوية عند سيبويه؛ حيث تُعَدُّ الرائحة دالًا يُشِيرُ إلى نوع المدلول الذي يحسسه الإنسان، في حديثه عليها بقوله: «أو شممت ريحاً»[٢] فالقدرة على التفريق بين أنواع الروائح تعتمد على ما يشمه الإنسان ويميزه من غيره، في حديث سيبويه عن حاسة الشم، يُذكَر نوع الرائحة التي شمها وميّزها (المسك)، وهكذا تكون الرائحة دالة، بينما المسك هو المدلول الذي تُعبِّر عنه تلك الرائحة.

الحواس تُسَاعِدُ الإنسان وغيره من يمتلك هذه الحواس على التواصل مع العالم من حولهم، وذلك بالاعتماد على طبيعتها. عن طريق حاسة الشم، يمكن للإنسان التعرُّف على مجموعة متنوعة من الروائح والتمييز بينها، وهذا التمييز يتم بطريقة غير لغوية، حيث لا يحتاج الشخص إلى استخدام الكلمات للتعبير عن أنواع الروائح التي يشمُّها. بالتالي، الحواس تسهم في توصيل المعرفة بشكل مباشر، بما يسمح للإنسان بالاتصال بالعالم من حوله بطريقة طبيعية

(١) الكتاب لسيبويه (٢/ ١٣٠)

(٢) الكتاب لسيبويه (٢/ ١٣٠)

وغير معتمدة على اللغة.

خامساً: حاسة الذوق

في سياق اهتمام سيبويه بالحواس والنظام السيميائي، لحظ أهمية حاسة الذوق بقوله: «أو ذقتَ طعاما فقلت: العسل»[1]. قد اعتبر سيبويه هذه الحاسة أيضًا علامة مشيرة، حيث تعمل كأداة معرفية غير لغوية؛ فهي تعكس معرفة الإنسان بما يتذوقه ويميزه من طعم الأشياء. ولهذا السبب، قام سيبويه بدمج حاسة الذوق مع الحواس الأخرى في نقل المعرفة بدلًا من اللجوء إلى اللغة.

تمكِّن حاسة الذوق الإنسان من التمييز بين أنواع الطعم وتحديد مدى حلاوته أو غيرها من الخصائص الذوقية. وبذلك تكون الحواس قوة معرفية مهمة تمكِّن الإنسان من استكشاف العالم من حوله بطريقة طبيعية ولا تعتمد فقط على اللغة في تحقيق المعرفة.

النتائج

- أهمية الحواس في التعرف والاتصال: ادرك سيبويه أهمية الحواس في تحقيق المعرفة والاتصال بالعالم الخارجي. فعن طريق الحواس، يمكن للإنسان التعرف على العديد من الأشياء والتمييز بينها.
- الحواس كعلامات مشيرة: رآى سيبويه أن الحواس تعمل كعلامات تشير إلى مدلولات معينة. فمن خلال تجربة الحواس، يمكن للإنسان أن يتعرف على أنواع الأشياء ويحدد خصائصها.
- الحواس كأدوات معرفية غير لغوية: قام سيبويه بتصنيف الحواس كأدوات معرفية غير معتمدة على اللغة. فالحواس تمكن الإنسان من الاتصال بالعالم بطريقة طبيعية وتسهم في تحقيق المعرفة.
- تداخل الحواس والنظام السيميائي: لاحظ سيبويه تداخل الحواس مع النظام السيميائي، حيث يمكن استخدام الحواس كعلامات تشير إلى مدلولات معينة وتحقق بذلك الاتصال والتواصل بين الإنسان والعالم من حوله.
- دور الحواس في الاتصال اللغوي وغير اللغوي: أظهر سيبويه أن الحواس تلعب دورًا مهمًا في الاتصال اللغوي وغير

(١) الكتاب لسيبويه (٢/ ١٣٠)

اللغوي. فإذا توفرت لدى الإنسان الحواس السليمة، فإنه يمكنه التواصل بشكل فعال والحصول على المعرفة من خلال الحواس دون الحاجة إلى اللغة بشكل حصري.

مصادر البحث

القران الكريم

١. التّعريفات، أبو الحسن علي بن محمد الجرجاني، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت ٢٠٠٣م.

٢. السّيميائيّات أو نظريّة العلامات، جيرارد دولودال، ترجمة :عبد الرّحمن بوعلي، دار الحوار- سوريا، ٢٠٠٤.

٣. العلامة: تحليل المفهوم وتاريخه، أمبرتو إيكو ،ترجمة :سعيد بنكراد ،راجع النص:سعيد الغانمي، ،ط،١، المركز الثقافي العربي،بيروت٢٠٠٧ م.

٤. الكلّيّات، أبو البقاء الكفوي الحنفي (ت١٠٩٤هـ)،(د.ط)، مطبعة العامرة، القاهرة ١٢٨٧هـ.

٥. اللغة بين المعياريّة والوصفيّة، تمّام حسّان، ط٤،عالم الكتب، القاهرة ٢٠٠٠م .

٦. المستصفى من علم الأُصول، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي(ت٥٠٥هـ)،تح:د. محمد يوسف نجم، ط١، دار صادر ، بيروت ١٩٩٥ م.

٧. تهذيب اللغة، أبو منصور محمَّد بن أحمد الأزهري (٣٧٠هـ)، تح: عبد السلام محمّد هارون وآخرين، (د.ط) ، دار الصادق، قم، (د.ت).

٨. جمهرة اللغة، أبو بكر محمّد بن الحسن بن دريد، تعليق: إبراهيم شمس الدّين، ط١، دار الكتب العلميّة، بيروت ٢٠٠٥ م.

٩. علم الدّلالة، بيير جيرو، ترجمة: د. منذر عيّاشي، تقديم: د. مازن الوعر، ط١، دار طلاس، دمشق ١٩٩٢ م .

١٠. علم اللغة، د. علي عبد الواحد وافي، ط٩، دار نهضة مصر، القاهرة ٢٠٠٤ م .

١١. كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت١٧٥هـ)، تح: د. مهدي المخزومي

١٢. كتاب سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه (ت١٨٠هـ)، تح: عبد السلام محمد هارون، ط١، دار الجيل، د.ت.

١٣. لسان العرب، محمد بن مكرّم بن منظور (ت٧١١هـ)، (د.ط)، دار صادر

ISSN: 2075 - 2954 (Print)

١٤. مجمل اللغة، ابن فارس ،راجعه ودقق أُصوله: محمّد طعمة، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت ٢٠٠٥ م .
١٥. معجم مقاييس اللغة ، أحمد بن فارس ، تح: عبد السّلام محمد هارون،(د.ط)،طبعة اتحاد الكتّاب العرب – دمشق ٢٠٠٢م .
١٦. مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني (ت في حدود ٤٢٥ هـ)،تح: صفوان عدنان داوودي، ط٣، قم ١٤٢٤ هـ .
١٧. نشأة اللغة عند الإنسان والطفل، د.علي عبد الواحد وافي، ط٢، دار نهضة مصر للطباعة والنّشر ٢٠٠٥ م.